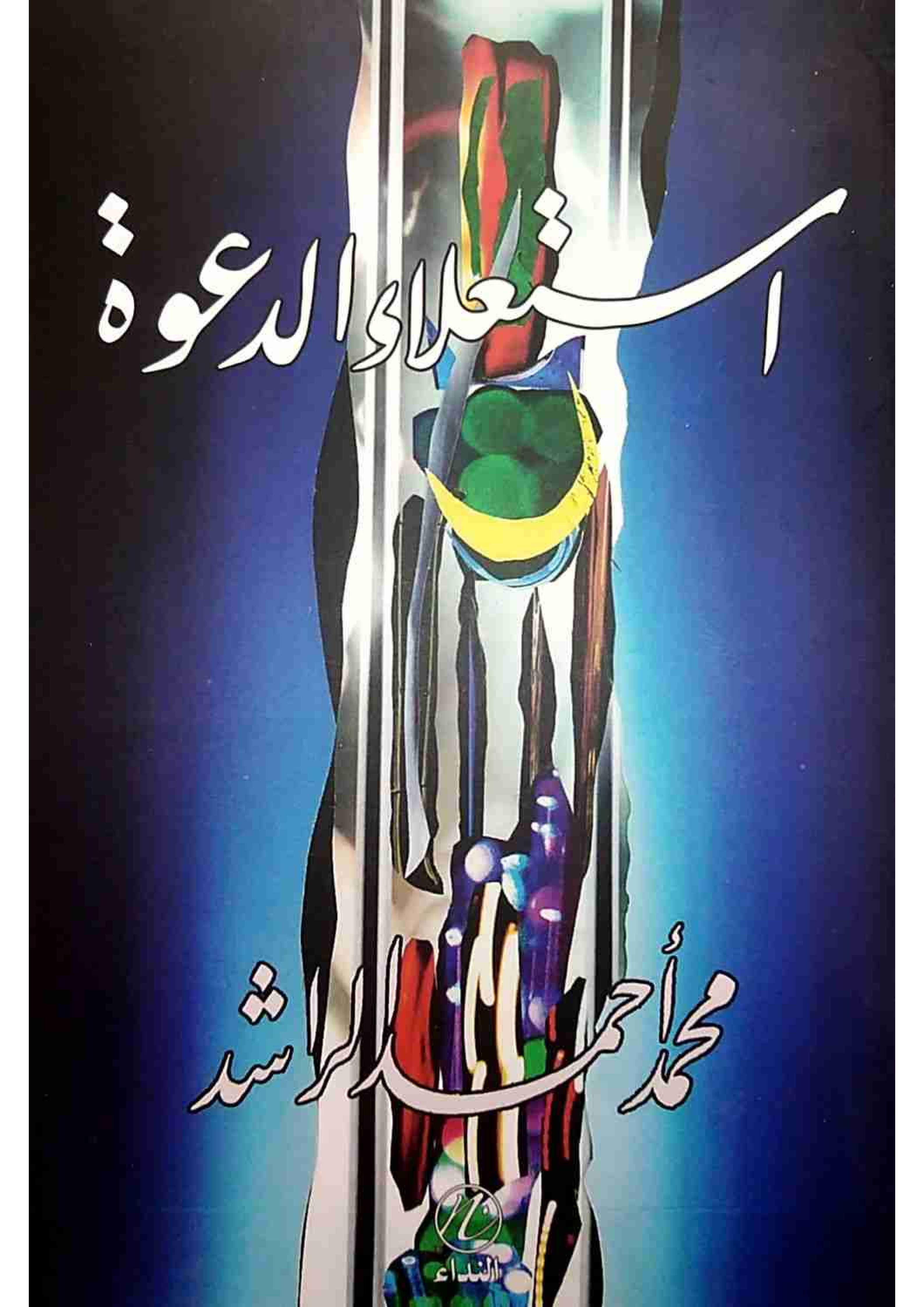
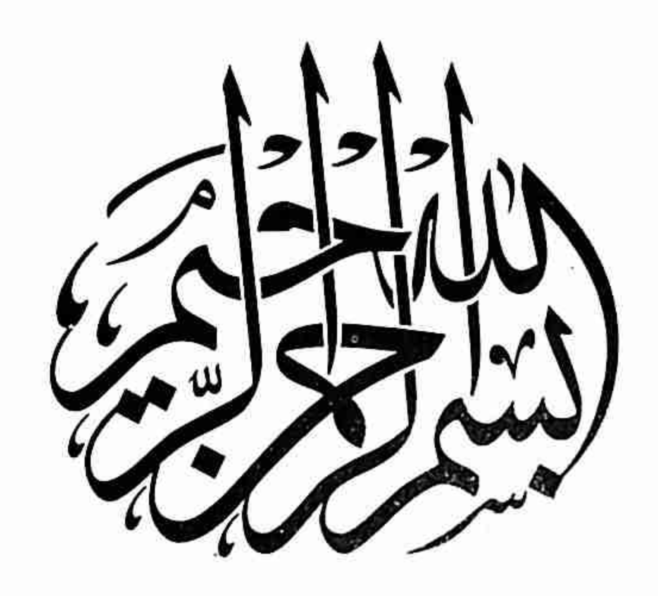


استعلاء الدعوة
محمد أحمد الراشد
النداء


بسم الله الرحمن الرحيم


النداء



اسم الكتاب	إستعلاء الدعوة
ترتيب الكتاب في مطبوعات الدار	60
تحرير	رجب صونكول
الإخراج الفني والغلاف	محمد أحمد الراشد
الترقيم الدولي	978-605-9102-47-6
الطبعة	الطبعة الأولى، فبراير ٢٠١٦
رقم الإيداع	27580
دار النشر	**Nida Yayıncılık Dağıtım Pazarlama İç ve Dış Ticaret Ltd. Şti.** Balaban Ağa Mahallesi Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi No: 16/11 Fatih/İstanbul Tel: 0212 527 93 86 Faks: 0212 635 03 58 nida@nidayayincilik.com.tr - nidayayincilik.com.tr
دار الطباعة	**Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.** Göztepe Mahallesi Bosna Caddesi No: 11 Bağcılar/İstanbul - Tel: 0212 446 88 46 stepajans@stepajans.com - stepajans.com Sertifika No: 12266

إحياء فقه الدعوة

سلسلة

مَواعِظُ داعية

الرسالة الثالثة



القيادة الإسلامية الدعوية المعاصرة

تحتاج الصرامة والتقدم الجريء الواثق

ردّاً على جاهلية الظلم الاستعماري والعدوان على كل تحرك إيماني

ومن خلال الإصرار على سلميتنا في صراعنا سنغلب

وباختيارنا حرب اللاعنف سيزول الظلم

وننال الحرية ونبني التنميات

وبحقائق حركة الحياة... نقود تيارات الأحرار

محمد أحمد الراشد



الطريق القيادي

واضح الحدود.. ومستقيم

تصعد فيه القيادة الصارمة..

وتتقدم.. واثقة

بهوية إيمانية هلالية

ثم تيار الأحرار يتلوها

في شكل خطوط متوازية

وزُمَر.. وأرهاط

ونقاط مضيئة

في المحيط الحالك..

إنما ما اقترب من الركب..

يناله من النور شيء..

وذلك هو مغزى التجريد في الغلاف

الذي هو من فن الراشد..

□□ قبل مدة قريبة: دعاني أحد مخضرمي الدعاة من أهل الثقافة الإدارية والإبداعية أن أجلس معه نتحاور في مستقبل الدعوة بعد اشتداد الهجمة الغربية والمحلية عليها، وكان اهتمامه يتركز على دعوة عشرة من كبار الاسلاميين الذين نعرف سعة علومهم واطلاعاتهم وقرب تحليلاتهم من الصواب، وعلى نفقته، لنجتمع وإيّاهم، لنخرج معاً بمواعظ دعوية، ونوع خطط استدراكية، ووصايا واعية، فوافقته، وظننتُ أن الحل يكمن في مثل هذه المحاولة.

ثم بعد أسابيع تباطأت عندي الحماسة التي تولّدت من كلامه، واعتراني فتور، لَبِثَ يزداد، حتى صرت زاهداً في تنفيذ اقتراح أخي على الرغم من غرامي بالتخطيط وولعي بتمكين الوعي من ضبط المسيرة الدعوية، واستولت عليّ فكرة بديلة، لا تنكر أهمية الوعي والفقه الإداري، لكنها تتوجه نحو التركيز على الطبيعة الاخلاقية العامة للشخصيات القيادية الدعوية والتأكيد على الصفات الإيجابية والطبيعة النفسية، واعتقاد أن ضَعف الأداء الدعوي العام مرجعه بعض سَلب طرأ على هذه الطبائع، وليس بسبب ضمور الوعي وضعف الخطط.

هذا ما أصبحت متأكداً منه ومقتنعاً به من وجوه التحليل العديدة الناقدة للأحوال الدعوية، ولستُ من أصحاب أُحادية النظر بحيث أني لا أرى سبباً غيره، كلا، بل اعترف وأنا على يقين من أن النتائج العامة لكل مرحلة من المسيرة إنما تصنعها عوامل كثيرة، وأن الحياة أعقد بكثير من أن يؤثر فيها عامل واحد، ولكني في هذه المرحلة أرى أن نوع الطبائع الأخلاقية والنفسية هو الذي له التأثير الأكبر الأهم، وإذا أردنا نتائج تقربنا من التمكين : فإن علينا التركيز على طبيعة شخصية القادة في كل قطر، والتي ستنعكس حتماً على طبيعة القيادة العالمية.

وأجدني في اضطرار لإيراد استدراك آخر، فإني لا أعني أخلاق الإيمان، من نقاء النية، وخفض الجناح، وتقديم حسن الظن، ولزوم العفاف، والصدق،

وإغاثة المحتاج، ثم كثرة التعبّد، ومخافة الله، فإن كل ذلك وافر في شخصيات كل الدعاة، وهو في القادة أظهر. كما لا أعني السلوك الذوقي، من النظافة والتزام النظام، واتمام التحلي بمائة ذوق حسن سردتها رسالة التقرير الميداني التي أصدرتها قبل عشرين سنة، إذ الدعاة في كل ذلك أعلى كعباً من عامة الناس.

❑صراحةٌ ذات نصاعة... تَعزل الوداعة !!

إنما الذي أعنيه: الطبائع، والسجايا، وعظيم الصفات، وأهم ذلك: الشجاعة، والإقدام، والقدرة على الاقتحام في الارض البكر وفي عمق المستقبل المجهول، والاستعلاء الإيماني، وشعور العِزّة بالإيمان والفوقية على أئمة الفسوق، ثم الصبر على اللأواء، والتطلع والرنو إلى الأعالي وكبار الأمور وتجاوز صغيرها، والكرم، وازدراء البخلاء، والطموح، وعلوِ الهمة، والعزم المضاعف، والجزم السريع بالقرار دون تردد، والحرص على المبادأة، وتقدّم الصفوف، والاصرار على المضي، وتعمّد الحياة النابضة، والتحريك بعد السكون الطارئ، والتزام الشورى، ونبذ التفرّد، وعشق الحرية، ونُصرة المظلوم، واحتقار الظالم، والحرص على الإنتاج، وتثمين التنمية، والانفتاح النفسي، والبراءة الفطرية السالمة من الوسوسة والهواجس والعُقَد، ورأس كل ذلك : التواضع الجم في حدوده الوسطى أمام الكبير والقرين والتابع الوفي، ويجمعها مصطلح " الأخلاق الطبيعية " و " السواء النفسي " مع شيء من " المسحة الحضارية ".

●ما ازعمه : أنه هنا مكمن الضعف في الطبقة القيادية الدعوية المعاصرة، ومن قواعد الفهم المنطقي : نفي الإطلاق، وهو فهم مفترض في القارئ النبه، يعفيني من تهمة التعميم، بل الانصاف يرصد وجود استثناء، وإنما أتكلم عن ظاهرة سلبية لها وجود مرئي.

●إن اللغة العالمية التي تشترط ما تسميه " الكارزما القيادية " هي نتاج هذه الخصال والصفات الطبيعية، وهي عامة في المسلم والكافر، والقديم والحديث، ولو نظرنا في نجاح اردوغان لاكتشفنا أنه لا يتميز بعلم أو تجربة زيادة عما عند

أقرانه، لكنه يتميز بشجاعة وإقدام واقتحام وتواضع و " روح شعبية "، وبها استثمر الفرص بنجاح، وحشر نفسه ولم يتردد، وكان في شبابه من " فتوات محلة قاسم باشا " في اسطمبول، التي تشابه في بُنيتها الاجتماعية ذخيرة الموروث الشعبي الإيجابي في حي الميدان بدمشق، وحيّ الحسينية في القاهرة، أو محلة باب الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، وفيهن تمجيد الرجولة والبطولة والمواقف الصلبة، والأهالي في كل هذه المحلات يضعون أنفسهم في منزلة حماية الدين والسمعة التاريخية والإرث المعنوي الشعبي، وتوجد في كل هذه الأحياء القديمة عُصبة تقود الناس من غير إمرة، ولكنها مجموعة مبادأة وقرار كلما يجدّ الجد، وأخلاقهم أخلاق الفرسان أهل الإباء والنجدة وسرعة النفير، وكان أردوغان منهم إن لم يكن رأساً لهم، وهو حتى الآن يدعو فرسان قاسم باشا إلى قصره الجمهوري لتناول العشاء معه، وذلك سر نجاحه.

●فأنا أحب وأتمنى أن تكون القيادات الدعوية الاسلامية كلها على هذا النمط من أخلاق الفروسية، ولا تكون وديعة تبالغ في الدماثة ويعتريها التردد ويغلبها الإبطاء ويثاقل بها الترهل إلى الأرض، وكان سبب اندساس الوداعة ذات المبالغة في التأويل المصلحي المقاصدي أن السياسة الغربية بقيادة البيت الأبيض والبنتاغون والمخابرات قد بالغت في اتهام كل نزعة جهادية في الديار الاسلامية بتهمة الإرهاب، وعرقلت العمل الإسلامي كثيراً، وجفّفت منابع الرفد، وعتت مع اسرائيل يداً بيد عتوّاً كبيراً، وبدل ان ترد القيادات الدعوية بالالتجاء بعد الله تعالى الى الشعب وتثير فيه الحميّة والعزة واستلهام التاريخ واستعلاء الإيمان : ركنت إلى الانـحناء للعاصفة، وتقليل ذكر الجهاد، والحرص على الوداعة، واسترضاء حكام المسلمين الذين انقادوا للغرب، وتلك مواقف وسياسات أبعد القول في تسويغها أنها تكون لموسم وفي حكم الضرورات التي تقدر بقدرها، ولكن استطراد الوداعة ومن الجميع : أوجد بيئة نما فيها " فقه الميوعة " في ظلال مصلحية حتى صار هو الغالب، لولا أن بطولات حماس في غزة

عادلت الأمر والمنظر العام، وتقرير زوجة السفير خليل زاده الصادر عن معهد " راند " صريح في أن دوائر البحث الأميركية لن تقبل التعامل مع الفكر الدعوي حتى يتوافق مع التفسير الأميركي للديمقراطية كل التوافق، وأن من الأفضل للسياسة الأميركية أن تتعامل مع التصوف عموماً، ومع نموذجه في تركيا الذي يمثله فتح الله كولن، وإذا انضاف إلى ذلك إصرار الدول الغربية على اتهام فصائل الجهاد السورية بالإرهاب يكون الامر أكثر وضوحاً، ثم إذا انضاف إلى ذلك إصرار أميركا على تصنيف حماس على أنها منظمة إرهابية : يتم الوضوح.

●أنا مؤمن بالحكمة، والتهور عندي كبيرة من الكبائر، ولست بالمجازف أبداً، والإلتفاف على نوايا الخصوم في توريطنا واجب، ولست أقول بأن على قادة الدعوة أن يواجهوا الكيد الغربي بمواقف صلبة استعلائية فوراً ومن مركز ضعف، ولكني أقول بوجوب الانتباه إلى وجود نصير محتمل لنا يتمثل في الفطرة الشعبية النقية الميالة إلى التحدي ورفض الهيمنة الاستعمارية والظلم، والحِراك الدعوي مطلوب منه أن يعتقد أن رصيده الاحتياطي الحقيقي هو التأييد الشعبي له، وهو الذي يمنحه قوة في المفاصلة والتحدي للرغبة الغربية ولرغبة الحكام المحليين السائرين في ركاب الغرب، لأن هذا الموقف الشعبي قد يتطور إلى ثورة سلمية شاملة وفق قواعد " حرب اللاعنف " تزيل الظالمين وتجبر القوى العالمية على تغيير منطقها الأعوج، فالقائد الاسلامي الحكيم يعرف تماماً قبل أن يجاهر بالتحدي أنه مطالب بالنزول إلى القاع الاجتماعي والعمل التفصيلي مع الفقراء والفلاحين والعمال ومثقفي الطبقة الوسطى، ومع النساء والاطفال، في الحواضر والبوادي، وعلى نطاق واسع، وأن تتخذ الدعوة " عشق الحرية " شعاراً للمرحلة وهدفاً عاماً، حتى إذا تمت تربية الشعب وحصل ولاء عام وتيار مساند للدعوة وقادتها : يبدأ القادة بالتحدي والمواقف الصلبة، وهذا يقتضي أن نعيد تربية الجيل القيادي في كل قطر بما يضمن توليد الاخلاق الاساسية التي رأسها الشجاعة والتواضع وما يتبعهما من جماليات المبادأة الإبداعية والتوغل الخططي الجريء.

●هذا هو الطريق الاستدراكي الصحيح الذي يسير بنا نحو ربيع عربي ثانٍ،

وربيع آخر لبقية شعوب الأمة الاسلامية يوازيه ويكمله، والمقدرة الدعوية على التحدي تتضاعف أضعافاً إذا تحول الاستدراك من كونه في قطر واحد أو أقطار قليلة متباعدة إلى كونه عاماً عالمياً في كل الأقطار منطلقاً من نظرة مركزية يستفيد منها كل قطر من انجازات وامكانات الاقطار الأخرى، وهذه العالمية هي نقطة امتياز للدعوة الاسلامية ولا يملكها منافس لها علماني النزعة، ولذلك يجب أن يتزامن مع هذه النظرة المركزية نوع إصلاح للقيادة العالمية، وتجديد دمائها، وجبر نقصها، وبعث الفاعلية فيها.

●إن من أهم أسباب الوداعة السائدة وقوع القيادة في خطأ فقهي منح للمغامرين الذين يرون استعمال السلاح سبباً للمعاندة، وذلك قول القيادة في حيثيات إيجابها للطريق السلمي البحت أن إزهاق روح مسلم خلال العمل الثوري حرام، وليس كذلك الفقه الموروث، بل الأصل في الشرع إنكار المنكر، ومنه الإنكار باليد، وقد يتضمن ذلك قتل بعض جنود الظالم الذي نثور عليه، وكان السلف القديم على هذا المذهب، ولكن نتجت عن بعض ثوراتهم دماء كثيرة، فنشأ قول فقهي آخر يقول بوجوب سد ذريعة سيلان الدماء من باب الاحتياط، وقد أخذت جمهرة من الفقهاء بهذا الاجتهاد المصلحي، وبقيت جمهرة أخرى من الفقهاء تقول بجواز إراقة الدم إذا لم يكن كثيرا، وإمام الحرمين الجويني كبير الشافعية في زمانه هو على هذا المذهب في التجويز، وغيره ممن هو في درجته، ويتحصل من ذلك أن قيادة الدعوة لها الخيار بين المذهبين وإلزام الدعاة باختيارها، تخريجاً على قاعدة في الفقه مفادها أن اجتهاد الأمير ملزم للأمة، والقيادة بمنزلة الأمير، تلزم اتباعها الدعاة، وذلك هو الصحيح، والذي أراه أن القيادة مصيبة في تقديرها في أن تلتزم الدعوة الثورة السلمية دون استعمال السلاح في معظم البلاد، وذلك يكفي في نفي تهمة الارهاب عن الدعوة، والقول بحرمة القوة خطأ، بل اختيارنا سلمي بحت لاسباب منطقية عديدة، والمتهور سيبقى يستند إلى الخطأ الفقهي الذي يرد على لسان القيادة ليسوّغ تهوره، بينما

هو مطالب شرعاً بطاعة الخيار القيادي السلمي، والواجب أن يتغير المنطق القيادي في ذلك فورا، لوقف النزيف، ولتمكين الدعوة من المضي قُدماً نحو ربيع سياسي جديد عالمي المدى، سلمي الغاية والوسيلة واللغة والتربية والممارسة في الأغلب، ولا تعلق به تهمة ارهاب مهما كذب ساسة الغرب والشرق، وفي ظل أمن الخيار السلمي نقف مواقف العِزّة والمفاصلة والاستعلاء، ونتغنى بالحرية، وننزل الى الانتخابات البرلمانية والرئاسية، ونقرّ بتبادل السُلطة، ليقينٍ نملكه أن الشعب مع الدعوة إذا أجدنا العمل معه ونزلنا إلى القاع والعمق وأظهرنا قادة تتحول شجاعتهم وصلابتهم وأشواقهم الطامحة إلى " كارزِما " كاسحة من نوع جديد في الساحة السياسية المحلية والعالمية.

● ولتثبيت هذه المعاني في ضرورة الإقدام القيادي والاقتحام الواثق المتشبّع بشعور الاستعلاء والعِزّة الإيمانية : نظمتُ خمسة أبيات انسابت في البحر الطويل، طمعاً في حفظ الدعاة لها وإيرادها عند شرحهم لمذهبهم الطامح، فقلت مُنادياً أنْ يا...

أخي : إفهَمَنْ هذي الحياةَ المُثَبَّرَه

ففي مُعْجَمي أنّ (التكامُلَ) مَبْرَرَه

جهاديْ بِـعِــزٍّ أوْ عُلُوٍّ نُــتَـمِّـمُــهْ

دَميْ مُفصِحٌ أنّ الوداعةَ مَسْخَرَه

قِيادةُ سَيرِيْ في احتياجِ شَجاعــةٍ

تُباديْ، وتختارُ الصرامَةَ مَعْبَـرَه

لنا الوعي، والتخطيطُ يَضبطُ مَوقفي

وإبداعُ فِقْـهٍ مَقصِدي بمَـفْخَـره

صِلابِيَ فرْعٌ مِنْ جهادٍ بـرِفْـعـةٍ

كذا واقتحاميْ يَمْنَحُ الجَمْعَ مَنْصَرَه

●فحياة أمة الاسلام المعاصرة، بل وجميع العالم : مائجة، وقد ثَبَرَتها الأفكار الاستعمارية ثبوراً، ودوّختها طباع المكر اليهودي وقذفتْها إلى أحوال مُعقّدة، والحالة السورية مثال، وتحطيم غَزّة هو أعنف الثبور، والدعاة يجاهدون، ولكن ميزان التكامل الذي هو إسلامي وعقلي وإنساني يستوجب أن نردف الجهاد بمواقف قيادية صارمة صلبة عند التعامل السياسي مع الحكام الظلمة والأحزاب العلمانية التي تنحرف عن المغزى العلماني الأصلي وتناصب الدعوة العداء وتقف في صف الظالم، وخلفية هذه الصرامة : عِزة مفترضة في المؤمن تدعوه الى صراحة وصلابة تتطوران الى اقتحام المجهول بشجاعة بعدما يشير الوعي التحليلي إلى رجحان النصر، ولنا فقه مصلحي مقاصدي أنضج رؤانا الاجتهادية ويميل إلى تصحيح الروح الإقدامية، ووصول الدعوة إلى إثراء هذا الفقه المقاصدي هو من مفاخرها وانجازاتها الفكرية العميقة، وبه نَصُول ونَجول ونتجاوز أوهام مرحلة الوداعة التي كانت ردة فعل ساذجة على الهجمة الصليبية والإسرائيلية، والباعث على هذه الجُرأة : أنَّ توجه الدعوة نحو الشعب بالفكر الصريح سيكون سبباً في غرس شعور الاستعلاء في نصف الشعب والتفافه حول القيادة الدعوية ونزوله كطرف قوي في المعادلة السياسية، ومع الدعوة جيل شباب واسع حالم توّاق للحرية ولديه طموح، فإن لم تملأ القيادة الدعوية أشواقه العاطفية التي لها من العقلانية تأييد فإنه سينصت إلى وسوسة شيطانية تغريه بأن يكون مع الحركات المتطرفة ويزهد بوسطية الوداعة، وعلى كاميرون رئيس الوزراء البريطاني، وأمثاله من عتاة القوميين في فرنسا أن يُدركوا هذا الاحتمال الوارد ولا يظلموا

الدعوة الاسلامية الوسطية بتهمة إرهاب هي بريئة منه، لئلا ينحرف اللابث حتى الآن مع العقلانية من الشباب الفائر الرافض لحلف أوربا وأميركا مع إسرائيل، وكل توسّع في تفسير معنى الارهاب يجلب معه مزيداً من احتمالات تأييد جيل الشباب للمتهورين، وأحسن خطط الأمن إذا أرادها الغرب تكمن في العدل والبراءة من حكامنا الذين يخنقون الحريات وتمتلئ سجونهم بالأحرار، والديمقراطية الغربية الأصيلة تنفي صواب أي تعامل للدول الغربية مع الطغاة في بقية أنحاء العالم، ومخالفة هذا الأصل الذي يقره حكماء الغرب هو الارهاب في الحقيقة، وهو الذي يغذي صيحات النشاز الخوارجية التكفيرية في بلادنا لو كان ساسة الغرب يعقلون، ولكنهم أسرى إلى بقايا الفكر الاستعماري الصليبي، وكون الرئيس بوش صريع وساوس اليمين الكنسي المتطرف أشهر من أن يحتاج إلى دليل، والبريء من ذلك، مثل أوباما : يداهن اليمين واليهود وهو صريع مصلحته الشخصية التي توسوس له بهذه المداهنة، والحق أبلج إذا نظر الناظر بمنهجية حيادية أخلاقية، وذلك عزيز نادر في المحيط السياسي في كل العالم، وقد ذهبت مثالية الأديان، بل مثالية الفلسفة الإغريقية التي أوجبت الديمقراطية، وعاد الجميع إلى قوانين الغابة وزئير الأسود، وليس السياسي الوديع غير ظبي جفولٍ بينها، لكن هذا السرد الواقعي تخالفه بعض الأحزاب الإسلامية، فتدع أرهاط المجاهدين من اخوانها تجاهد، ثم تمارس هي في ذات الوقت سياسة الانبطاح والميوعة، وليس الوداعة فحسب، وذاك قصورٌ عن قانون التكامل، وفي الأداء العالمي مسحة من هذه الوداعة، إلاّ الحزب بمصر فإنه وقف بصلابة، لكنه لم يتمكن من فهم الظرف.

❑الحياة سلسلة من.. صراع صارمٍ وظالم.. وبَطل وذي خلل

❑ولكني في قصيدة أخرى سَعت في مضمار الرَمَل : ذهبتُ إلى مدىً أبعد، وشرحت الخفايا المنهجية في سلوك التحدي والصرامة، فكان مما قلتُ فيها :

هذه الدنيا عـصـيبٌ أمرهـــــــا

جامحٌ، تَغتالُ، خـــافٍ سرُّهـــا

فنفوس الناسِ شـتّى خُلِقـــــتْ

وعقولٌ يتعارضْ سِـحْــرُهـــا

وجميعٌ هُـمْ سُعاةٌ فـي حِـيَـــلْ

وعَلا فوقَ الصِحاحِ كَسْـرُهـا

●وهذا تصوير لحالة الحياة التي خلقها الله، وهو سبحانه الذي كتب التنافس والعداوة بين البشر وجعل عقولهم تختلف في الذكاء والإدراك، وسلّط الشيطان عليهم فأغرى أكثرهم، حتى صار أساس السياسة الاحتيال والخديعة، فكانت النتيجة أن الغُثاء الكثير يغلب الثقات في معظم الأحوال...

غَــيــرُ قِـلٍّ مُذعِـنـيـنَ للقـيـمْ

قِيَمَ الاسلامِ، سَبْغٌ سِتْـرُهـــا

نَشأةُ الإصـــلاحِ هــذا بَدؤهـــا

مِنْ فـســادٍ يَـتَـبَـرّأْ حَـبْرُهـــا

مَنْطِقُ الأخلاقِ يَفْرِضْ حُـكـمَـهُ

مِــنْ ضِــرارٍ يتـعافى خُبْرُهـا

●ذاك التناطحُ والتغالبُ والتنافسُ : لا يصرع كُلَّ الناس، بل الله تعالى يستثني منهم أخياراً في كل جيل يتمسكون بِقَيمٍ عالية علّمها الله لهم في القران وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ويشاء الله سبحانه أن يَبزغ في كل جيلٍ رَجلٌ إمامٌ يقود الناس ويكون حَبْر الأمة كلها، أو حَبْرَ شعب من الأمة الاسلامية، فيصرخ يُعلنُ البراءة من الفساد المستشري، ويضع تصوراً للإصلاح، فيكون المنطق الأخلاقي الذي يجهر به أقوى من كذب أئمة الفساد والانحراف، ويَشيعُ تطبيق عمليٌ للمبادئ الأخلاقية يفرز مجتمعاً صغيراً متعافياً من أضرار السياسة الفاحشة داخل المجتمع الواسع الغافل، وتبدأ حالة الصراع الطويل بين القلة المؤمنة والملأ الجائر المدافع عن مصالحه المرتبطة بالمستبد المحتكر اللئيم، وتحت رقابة ربٍ رقيب تستمر التحديات، فيومٌ ويوم...

بَيْدَ أنَّ الخيرَ يبقى عائماً

كرُموزٍ مُفصِحٌ إسْبارُها

تَتَراجى بَطلاً يَزْدَنْ بها

صارخاً : أَعْجَبني إبرارُها

فيقودُ الناسَ جَهْراً نَحوها

وَيْحَ مَنْ يأسِرْهُ فوراً نَبْرُها

●أي مع تقادم أيام الجدل المحتدم واتضاح المفاصلة تصل الأمور إلى حالة التأزم، ويكون الأداء الاصلاحي العام وأفكاره وإعلامه قد تمكن من تثبيت جملة معانٍ رمزية في ثقافة الناس تسيطر على وجدانهم ويشهد لها السَبْر التجريبي الاختباري العملي الذي تكرر مِراراً قبل حصول حالة الأزمة، وهذه المعاني الإصلاحية الراقية وعلى رأسها عُشق الحُرية : تكون في أول أيام الأزمة في حالة

انتظار لبطل يُعلن إيمانه العميق بها، ويُحلّل أبعاد الحالة فَيُعلِن بأن الإيمان العائم لم يعد يتلاءم مع الواقع، فيجزم بأنّ الحَسْمَ هو الحَل، وأن التغيير هو الطريق، فيدق على صدره معلناً أنه المستعد، فيقود صحبه ثم الناس في عملية تغييرية حاسمة، لكنها سلمية تماماً، كما هو اختيار الفقه الدعوي المعاصر في أغلب الأحوال، والجدير بلقب (الحُرّ) من الناس هو من يميز فوراً نبرة الصدق في القول الإصلاحي، ويعلّق فوق مجلسه قول الله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بَقيّةٍ ينهون عن الفساد في الأرض) مخطوطة بخط الثُلُث بيدٍ مباركة لتلميذ من تلامذة هاشم البغدادي.

فَيُتيحُ الموجُ والضغطُ رؤىً

يجذبُ الأرواحَ فوراً أجْرُها

يَتساقطْ شُهداءٌ في الوغى

يُسْجَنَنْ رهطٌ رَياهُم فِكرُها

● وواضحٌ لدى الأحرار انها ليستْ الخُطَبُ الوديعة هناك، ولن يكون رَدّ المستبد جميلاً، بل يكون تساقط أحرار يخطون بثقةٍ نحو الجنة، وتكون الزنازين، لكنّ أيام السجن ستكون أيام تفكير في التفاصيل، ومراجعة لما مضى، ورؤية مستقبلية دقيقة من خلال تأملٍ عميق ما كانت أيام المصاولة تتيح مثله، وستكون آلامُ المصلحين هَيّنةً وإنتاجية بعد أن انتصبت نجاحات الآلام الصحراوية لسلطان القاسمي والفرسان السبعين الذين معه سابقةً تغري الأحرار في كل العالم أن يعتنقوا طريقتهم في الاستعلاء وهندستهم المعنوية في تكوين الطبقة القيادية لمسيرة الحرية من خلال خطأ الحاكم الذي لايفهم طبيعة حركة الحياة وقوانينها التي تغيّر السجنَ فتجعله كُليةَ أركان حقيقية لتيارات الاصلاح والقلوب النابضة في المدار العالي، حيث...

يُنْـجِـبُ التَـصْوالُ ألـفـاً قـــادةً

نُخَبُ الناسِ يُكثَّفْ دَورُهـــا

يــتــهـــاوى الظُلمُ مـهـمـا سَــدَرا

وشعـوُبـي يَـتَـنَـفَّـسْ فَجْرُها

وتَقُمْ دَولةُ جِـدٍّ عـادلـــــــــــه

يَتَشيّدْ بـالـتحـضُّرْ دارُها

●فالمبادأة من أئمة الاصلاح : من شأنها رفع ألفٍ من الأحرار إلى درجة قيادية تتحلى بالشجاعة والوعي والنقاء القلبي، ذلك ان المُكنة القيادية نصفها فِطرة خَلْقية فيها قوة شخصية وذكاء ونصفها دروس من المعاناة العملية، واما العلم والمعارف فهي إضافة وزينة وتحسين، ووجود الطبقة القيادية الواسعة يعني رجحان حصول التغيير بحول الله، فتكون دولة جديدة تمنح للإنسان حقوقه، وتُوفرّ الحرية، وهذا ما نريده، ولا نريد حكماً إسلامياً سريعاً، بل بيئة حُرة من خلالها ننشر فكرنا وتربيتنا، ونشارك في التنمية الشعبية بموازاة الأداء التنموي الحكومي، فتحصل مرحلة قبل الحكم هي ضرورية ويوجبها المنطق ويؤيدها فقه التعامل المصلحي المقاصدي الذي يجد أمامه أنواعاً من التعقيد والواقع المأسور إلى تراكمات عهد الفساد، وتحليل التجربتين المصرية والتونسية عما بعد الربيع العربي يبذر قناعة في أن مرحلة المشاركة الدعوية الجزئية في الحكم بعد انهيار الفاسدين هي الصواب، وتلك نصيحتي لقادة الربيع الثاني، وفي مرحلة المشاركة هذه نحاول تربية الناس كلهم على التحلّي بالأخلاق الحضارية، وفي المجال السياسي بخاصة، من الحرص على سلمية التنافس، واحترام حقوق كل المواطنين، وكبت القناعة الموهومة التي غرسها الشاعر عمر بن ابي ربيعة في نفوس العرب

من خلال ترويجه لقاعدة " إنما العاجزُ مَن لايَستَبِدْ " واختيار الأكفأ والأكثر إخلاصاً، والامتناع عن بيع الصوت الانتخابي بالمال أو بالمصالح، وأمثال ذلك مما يجب أن يتطرق إليه فقه التغيير، فإذا اطمأننّا إلى نزاهة الانتخابات من جهة، وإلى وعي انتخابي لدى عموم الشعب : فإنه لن يتقدم علينا احد، وذلك يتضمن وجوب تفكيك الدول العميقة في الديار التي يحصل فيها التغيير، وتحييد الجيش والشرطة والمخابرات، وإلاّ فإن المخابرات الأميركية ستجد سِيسيّاً آخر في كل مكان.

❑فكِري يَنقد فِعلي... ويقل للخطأ... أنت خطأ !!

ومع كل هذا الشرح بقي قلبي قلقاً، وَجِلاً من أن شباب الدعوة لم يتم له الاستيعاب، وما زالت في طريقته عفوية وارتجالية، مع ذهول عن ربط أطراف المعادلات من أجل إيضاح المنظر الكلي تحت مظلة الوعي التحليلي، فذهبت مرة أخرى إلى مدىً أبعد، وانشأت قصيدة ثالثة تساير البطيء في الرَمَل الذي هو فيه وذبذبات الخَبب، فقلت...

عِبَرٌ بَيَّنها السيرُ نكيرَه

كارتجالٍ عَكَّرَ النهضة الكبيرهْ

كلُّ قُطرٍ أتْعَبَتْهُ خَطِآتٌ

فَغَدَونا نَطلُب الحِيطة الوفيرهْ

حِكمةٌ في طَيِّ خِطءٍ وَجَّهتْنا

نَحو فِكرٍ يَمنعُ الرؤية القصيرهْ

أي أن فحصنا لأدائنا وللتاريخ الدعوي يوضحُ أن السير الدعوي ماكان خالياً من ارتجالات في كل قُطر، وأخطاء أرهقتنا وأطالت دربنا نحو إتمام النهضة

الإسلامية، لكن هذه التجارب السلبية استحالت من خلال التمحيص الناقد الواعي إلى دروس فيها أنواع من العِبَر التي اجتمعت فجعلتنا الآن نحتاط لأنفسنا كثيراً، ومن باطن الخطأ انبجست عيونٌ من الحكمة والفكر والفقه الدعوي الذي أوصلنا إلى حالة الانتباه وإتقان فهم الواقع والفراسة البعيدة في استكشاف المستقبل، وذلك لأن المنهجية الدعوية صحيحة، وكل إنسان يَرِدُ عليه الخطأ، ولكنَّ النقد الاستدراكي يوقف النزيف، لذلك...

دَعْ تجاريبَ الدعاةِ تُفْهِمَنِّي

: أطْموحٌ بَعْدَ أحوالي الكَسِيرهْ

هَلْ وَمِيضُ الرأيِّ يهْدي الهائِمينا

فَنُتابِعْ زُمْرَةَ الفِقهِ الخبيرهْ ؟

فهل ماكان من الخطأ المتراكم هو قَدَر شرٍّ جاثم ثقيل الوطأة يمنع الكتلة الدعوية من العودة إلى حالة الإنتاج والحِراك والتحدي والطموح الطامع بنصر؟ جواب ذلك كامن في قاعدة كبرى من فقه أُصول الدين عنوانها مقارعة قَدَر السوء بقدر خيري من العمل الصحيح المستهدي بعلوم الشرع كلها ثم بعلم التخطيط وعلم حركة الحياة، وباستمرار المثابرة يعين الله الدعاة على إزاحة الفسوق وتفوّق أهل الإيمان، والدراسات المتوفرة حَوَتْ ألف ومضة هادية، وانتقلت القيادة من حالة استشارة أنفار قلائل من العلماء الفقهاء إلى حالة استشارة زُمرة فقه دعوية ألفية العدد من أصحاب شهادات الدكتوراه في الفقه والأصول، بل زُمَرٌ ومجامع فقهية عديدة تكدست فيها الخبرة واستتمت لها آلات الاجتهاد المصلحي المقاصدي، ولذلك نتقدم بثقة ونُعُدْ نسأل ثانية..

هَلْ سُيُوفي واعُظاتٌ لعَــــدُوِّي

بعدَ جُرْمٍ حاجباً شَمْسي المنيرَهْ؟

في جهادٍ يَنْتوي استئنافَ نَصري

وَرِباطٍ يَردَعُ الفُرسَ المُغِيرَهْ

فبعض الميادين الدعوية مازالت في حالة ٍ جهادية، مثل الجهاد المتواصل في غزة الصامدة، والمشاركة في الساحة السورية واليمانية، حين حصل ترجيح استخدام القوة فيهما على الالتزام بالسلم، فهذا جهادٌ ورباطٌ استمر متواصلاً بعد حصول الجريمة الأميركية الكبرى في تمكين الرِّدّة عن الحرية بمصر وتمكين الجيش المصري من نقض الثورة، فهل مازال أمام الدعوة احتمال النصر والانجاز، أم يلزم الاستسلام ؟

كلا، بل نصاول ونستمر بعدما بدّلت أميركا واسرائيل تكتيكهما المشترك بالتخلّي عن خُطة المجابهة المباشرة لنا وابتداع خُطة جديدة يفوضان بها الشعوبية الفارسية بمواجهتنا، والتمكين لها في العراق ثم سوريا ولبنان، ثم اليمن، والبحرين ونجداً والحجاز، ومن خلال لبوس الاتفاق النووي صار تقاسم مناطق النفوذ ومَنَحت أميركا الشرق العربي إلى إيران، وما المساعدة التي حصلت من إيران لحماس في المجال التكنولوجي غير خطة استدراجية تأمل فيها إيران أن تتمكن من تسيير حماس في ركابها، واليقظة الدعوية أنقذت حماساً من ذلك حتى الآن وجعلتها تستقل في يوم الاختلاط وضبابيات التمويه، وضمان المستقبل يتركز في توعية الفئة الظاهرية من أبطال القسام بحقيقة هذه الفذلكة الإيرانية الماكرة، والحرص على دوام الاستقلال والعفاف وتحمّل شدائد الفقر والحصار العربي حتى يأذن الله بفرج، والدولة الإيرانية في أقل أوصافها السلبية أنها ضد

الربيع العربي، وهذا واضح في أمرها للحوثي بالتحالف مع الرئيس اليماني المخلوع المجرم علي عبد الله صالح، وقبل ذلك مشاركتها من خلال البرادعي وزوجته الإيرانية في انقلاب السيسي على رئيسنا مرسي.

وإذا انضبطت هذه البوصلة : يكون حَرِيّاً بي أن اواصل التقدم، وأن أقول لداعية المرحلة الحسّاسة الخطرة أن يا أخي... يا أملي...

قُلْ فصيحاً أنّه يَجْدُر بِفِكـــــري

نَقدَ فِعْلي أو تجاريبي المَرِيْرَهْ

وهَلِ الإبــداعُ إلاّ أنْ نُـصــــــارِحْ

نَفْسَنا دَوْماً بأصواتٍ جَهيـرَهْ

يا أخي : قُلْ للخطأْ : أنتَ خَطأْ، في

عَزْمةٍ تنوي جَذاذاً للوتيـرَهْ

وتميل التربية الدعوية المتطورة إلى مراعاة آثار انعكاس زيادة حجم الوعي السياسي العام عِلى البيئة الدعوية، وآثار الفضائيات والاعلام عموماً وتوسع الثقافة، وذلك جزء من الابداع في الحقيقة، إذ أصبح الدعاة يتوقعون من القيادة أن تبدي لهم احتراماً يتناسب مع حالهم المتطور، وأن تتيح للمختص أن يحاورها، وذلك يقتضي اللجوء بين وقت إلى آخر إلى مراجعة النفس والنقد للخطط والمواقف والأساليب، بل للفكر والرؤى والتحليلات التي نمارسها لفهم ما يجري حولنا وما يليق من التعامل الدعوي معه، فإذا توصل الحوار الجاد الرفيق الملتزم بالأدب إلى اكتشاف خطأ في المسيرة أو في التصورات : فإن من تمام الحزم القيادي أن نقطع وتيرة استمراره ونقول بصراحة لأنفسنا وللناس أحياناً : أن ذلك كان

من الخطأ الذي يقع فيه كل مجتهد، وأن الشجاعة تحتم علينا تغيير الموقف، أو الفهم الذي أدى إلى ذاك الموقف. ومازالت ممارسة النقد في المجتمعات الديمقراطية العالمية غرباً وشرقاً هي أعمر مما هي في الأوساط الدعوية أو الإسلامية عموماً، والخوف من النقد في ديارنا هو جزء من تأثيرات الاستبداد السياسي في الحاكمين، ومن اللائق أن يوقن كل قيادي إسلامي أن اعترافه بالخطأ هو دليل على تحلّيه بخُلُق التواضع الإيماني، وقد أوضحت الدراسات الإدارية المعاصرة أن أهم أسباب نجاح القادة هو وفور التواضع فيهم، وأن أنجح القادة هو أعمقهم تواضعاً، وذلك ما أخبرنا به شيخ المدربين الإداريين العرب الدكتور محمد التكريتي في بحوثه الأخيرة.

ثُمَّ عَرِّجْ نحو مِصفاةِ الـرؤى، من

حِـكمة تدأبْ بتمييزٍ مُشيره

مَوزِنُ التمييز يَكمُن فـي أُصـولٍ

فِقهُـها : عِـزٌ وأخلاقٌ غزيره

نَفْرتي ليستْ حُروباً كُـلَّ وقـتٍ

تَنْمياتي أرجحتْ سِلْمَ المسيره

نحنُ بالإنتاجِ نَغْدو أقويـــــاءً

نـكـرَهُ الفقر وآثارَ الحصـيره

حَبُّ أرضي يُشبِعُ الشعبَ بِيُسْــرٍ

إن تَـعاونَّا وكُنَّا كالـظفيـره

أن يَقودوا الشعبَ طَوعاً ببَصيره

فإذا حصل في المحيط الدعوي إتقان النقد والمراجعة والاستدراك : فإنَّ المنطق يلزمنا أن نبلغ في الوعي مرحلة أُخرى، علامتها : الفهم الجيد للموازين الموضوعية التمييزية بين الصواب والخطأ، والحرص على تحكيمها في أوساطنا عندما نتخذ أيّ موقف أو نضع أيّ خُطة، وهي مجموعة القواعد الأصولية والفقهية التي توصي في عُمومها بوجوب إظهار العِزّة الإيمانية والتحلّي بمفردات منظومة الأخلاق والقيم الإسلامية، لكن إيجاب العِزّة لا يعني أبداً أن نختار الجهاد الحربي دائماً، فإنه هو كذلك سبيلنا في مجاهدة الكافر المستعمر بالسلاح، ودفع كلّ غاز، ولكن تطور الحياة السياسية المعاصرة في كل العالم جَعَلنا نختار العمل السياسي السلمي، فإنه نوع من الجهاد أيضاً، لأن الحرية إن توفرت تجعلنا الأقدر على المنافسة، وكأن الغَلبة مضمونة لنا، والسلوك السلمي في ظل الحرية يُتيح لنا ممارسة التنمية الإسلامية الدعوية الشعبية إلى جانب التنمية الحكومية، وتتأسس متوالية، عنوانها : حاجة التنمية إلى بيئة سلمية، ثم انعكاس الأمر في صورة أنّ وفرة الحرية والسلم واحترام حقوق الانسان تتكفل بتمكين الدعوة من بلوغ مرحلة أعمق في التنمية، وبالتدرج تضعنا العملية الانتاجية في موطن القوة والثراء المالي الذي يرفد العمل السياسي التنافسي، ولذلك علينا أن نربي الدعاة والموالين لهم على كراهية الفقر وطلب الاغتناء وتأييد المشاريع التنموية الجبارة في حجمها، فقد ذهب عهد الزهد الذي يرى في طبعات نسيج الحصيرة الخشن على عضد الداعية الفقير دليل الإيمان، بل إيماننا في فهمنا الجديد يدفع إلى أن نتعبد بطلب المال لتوظيفه في معركة الفصل بين الإيمان والفسوق، وفي تحريك الحياة لصالحنا، والفوز في الانتخابات، لنحكم، ونُنهي عهد المحن والسجون وغطرسة المتفرعنين، ولو أن الشعب تعاون بقيادتنا على إنتاج حنطته لشبعوا، كالذي

حصل عندما قادهم وزيرنا المخلص أيام مرسي، ثم أننا لسنا خبراء في الحكم، فتكون ممارستنا التنموية وما فيها من تعقيدات واحتياج لفن إداري هي البيئة التدريبية العملية التي تمنحنا مقدرة على النجاح لو حكمنا وكنا وزراء ومدراء وسفراء، وكان طارق سويدان قد قال في تغريداته في التويتر : "هناك حكام عرب لديهم موهبة لاينافسهم بها أيّ من حكام العالم، وهي : القُدرة الفذّة على اختيار اسوأ الناس لأي منصب"، وصدق، ونريد للدعوة أن تمحو هذه الظاهرة، وتدع الناس يشاهدون نجاحها في اختيار أكفأ الناس وأحسنهم لأي منصب، وتلك صورة من العبادة الحقّة في مفهومنا الجديد، ثم إنّ...

أخواتي يـتــرادفْ نَـتْـجُـهُـنَّ

جيلُ طِفـلٍ تَخِذَ الإبداعَ سَيْره

يُغْذِه إعـلامُنا رُوحَ الـجـهـادِ

يَدَّخِرْهُ، يَحْسِمَنْ هَولَ الثبيره

والمرحلة التنموية توازيها حملة تربية جيل مليوني العدد من أطفال الصالحين وأبناء العوائل ذات الأصالة في إيمانها، وتقوم بذلك مجموعة الأخوات الداعيات، من مُعلّمات المدارس والممرضات وطالبات الجامعات، فيُربينَ مَنْ يَلِدْنَ وثلاثين ضِعفٍ لهم من أولاد الناس، على الصلاة وحفظ بعض القرآن والحديث والصيحات الاسلامية والاناشيد الايمانية الاخلاقية، وعلى النظافة والجدية والألعاب الذكية والنظام والمنهجية، ثم على الابداع والاستنتاج المنطقي وفهم ظواهر الحياة بأسلوب علمي، مع تنمية المواهب المتنوعة وتعليم استعمال الكمبيوتر، وبهذه التربيات الثلاث وتنمية التعاون وروح الفريق : ينتج جيل ضخم من الاطفال فريد في مستواه النوعي، فإذا صاروا يافعين تلقّفهم الشباب

فأتموا لهم التربيات بتعليم الجسارة وقوة الشخصية من خلال أنواع الرياضة وصعود الجبال وقطع الصحراء وتعلّم السباحة وتطبيق مناهج الكشافة العالمية، ثم تعلم الميكانيك وقيادة الدراجات النارية والسيارات وركوب الخيل والفروسية والفنون التشكيلية، ثم أوليات الفكر الإسلامي وبعض فقه الحلال والحرام وتحبيب المطالعة، فهذا الجيل الواسع العدد المتربي على هذه الشاكلة من بنين وبنات هو الذي يحسم الأمر يوم الردّة عن الحرية والثبيرة العدوانية التي تضيق ذرعاً بنتائج الانتخابات البرلمانية والرئاسية، فترجع الامور إلى نصابها...

تلكَ خِطْأةْ زُملائي في الكنانة

قفزوا مَرْحَلةَ النَّمْيِ الدَّرِيْره

ثمَّ لم يُرْبوا ملايين الشبيبة

لم يصُوغوا لِلوَلا دَوْرَ النَّصيره

نُخبٌ صِيغتْ بلأيٍ واصطفاءٍ

حَسُنَتْ ديناً وفي الدُّنيا مَهيْره

أثقلَ الحِمْلُ ظُهورَ الصَفَواتِ

فاستباح الجيشُ أرهاطي السفيره

●السفيرة: أي السافرة، أي المكشوفة أمنياً وبلا حماية.

●فالقفزُ على مرحلة التنمية الدعوية أولاً، ثم إهمال صناعة جيل الشباب المليوني الموالي الإبداعي النهج ثانياً : هما سبب النكبة بمصر، فقد مال الفكر الدعوي هناك إلى لزوم ما يلزم، فاسترسل في صناعة جيل النُخبة والصفوة والقاعدة الصُلبة إلى حدود واسعة لا يحتاجها التغيير، ورباها إيمانياً، ودفعها إلى

إتقان المهن الدنيوية من طب وهندسة بانواعها وكيمياء، وغير ذلك، وركّز على طلب البيعة ممن يلتحق بالدعوة، ولكنه لم يتوسع بما يناسب ذلك من طلب الموالين والمؤيدين والمناصرين والمحبين للدعوة، ممن لا يلزم أن نوثق علاقتنا بهم ببيعة، بل نكتفي بأن يكونوا تياراً عاماً يُرَجّحنا في المنافسة، ويكفينا منه الالتزام الاسلامي العام، ثم اقترن ذلك بخطأ قصور واضح في ممارسة الأدب والفكر، وإبطاء في الصنعة الاعلامية المتخصصة، ولو بإدارتها من خارج مصر عبر فضائية وانترنت، مع محدودية في إنتاج متخصصين في الاقتصاد والعلوم السياسية والتربية والقانون الدستوري والقانون الدولي والإدارة والإبداع، مما يلزم من يريد أن يحكم أو يشارك في الحكم، وبذلك صار العمل نخبوياً بدون تيار عام يسانده بكثافة يتطلبها عدد نفوس مصر الواسع، فسهل على الجيش أن يكتسح، مستعملاً الغوغاء والبلطجية، وتم لأميركا الأمر بنفس الطريقة التي استعملتها قبل ستين سنة في إسقاط حكم مُصدّق في إيران، والحقيقة أن القيادة ماكانت تريد حمل مسؤولية الحكم بعد حصول الحرية ونجاح التغيير، وكأنها كانت قريبة من فكرة المرحلة التنموية، أو خافت من تعقّد السياسة العالمية والإقليمية واحتمال حصول الردّة بشكلها الذي حصل لاحقاً، ولكن جيل الشباب من الدعاة واركان الحزب ضغطوا باتجاه قبول الحكم، فكان ما كان، وهذا التقدير لا يعفي القيادة من مسؤولية النتيجة، لأنها لم تقم بحملة توعية سياسية وتخطيطية كافية في الأوساط الدعوية تمنع الانزلاق إلى هذا الخطأ الذي حصل أو تمنع الضغط على القيادة التي ترى مالايرى الشباب أو الحزب، وارتضت القيادة أن تتغلب التربية العاطفية على تربية الوعي السياسي التخطيطي التي كان يلزمها أن تكون حاضرة بكثافة، وهذا درس بليغ وتجربة دعوية مهمة لازمة لكل القيادات في كل الاقطار، نستفيد من فقهها بالحُسنى، ويخسأ مَن يريد أن ينحرف بها إلى اتهام وتضعيف، وكأن الأقدار الربانية تتعمد أن تربينا جميعاً ولو بدفع الثمن الباهض وكُتلة الآلام الثقيلة، والمؤمن يتأوّل بأنّ كل قَدَر يتضمن حكمة خفية.

وقد أعجبتني تغريدة في التويتر للاستاذ أسعد طه قال فيها أنه : " رُغم كل هذا الضجيج من حولنا : ما زلنا نياماً ".

والعالم كله قد دخل مرحلة جديدة بعد الربيع العربي الأول، ثم الاتفاق النووي الأميركي الإيراني، والتدخل العسكري الروسي في سوريا، وانتهاء عهد الرخاء النفطي، ثم بعض الدعاة – وليس الناس فقط – مازالوا نياماً، والواجب أن نحلل ما في ثنايا الردّة المصرية عن الحرية، ونسأل أم الدنيا...

(مِصْرُ يا اُمي الحنون) أرشديني

كيف اُفْكِكْ دولةَ العُمْقِ الخطيره

قال نِيلُ الخيرُ : رَكّزْ بُؤْراتـــاً

مِنْ ذكاءٍ تَلْزَمُ التخطيطَ خِيره

ثُمَّ سَلّمها مَقاليدَ الصـراعِ

لِتَقُدْ، تَسْتأنِفُ الوِقْده الحَريره

تَتّخِذ حُرية الشعبِ شعاراً

وتَثُرْ : تَسْتَصْرِخُ الكونَ ضَميرَه

● وهو نداءٌ مُستل من ألفاظ النشيد المشهور، نطلب فيه من التجربة المصرية الواعظة أن تُعلّمنا كيفية تفكيك دُوَل العُمق المسيطرة داخل دولنا الظاهرية الرمزية في العالم الاسلامي كله، فهناك في كل قطر مخابرات تتعاون مع مافيات الفساد وجنرالات الجيش والشرطة وامتدادات المخابرات العالمية العديدة الانواع، واللوبيات، ووكلاء الشركات العابرة للقارات، ومدراء البنوك الجبّارة،

واليهود، والماسونية، وممثلي الفاتيكان، ووكلاء الكنيسة الشرقية، والاقليات، وزُمُر المرتزقة من بقايا عصابات المخدرات في كولومبيا وغيرها، وبعض السفراء وأعوانهم، فهؤلاء في كل قطر يضمهم حِلف تتشكل منه دولة عميقة سِرية مهمتها مساندة الطغاة وكبت التطلعات الاسلامية وأشواق الحرية، ويجب أن نبني وعياً متكاملاً حول كيفية تغلّب الأحرار على دُول العمق هذه، والوصفة الأولية التي توجبها البداهة تتلخص في تشكيل تنظيم من الصفوة الذكية الواسعة الثقافة والعلم بالواقع المحلي والعالمي تختار لنفسها منهج التخطيط الاستراتيجي والمرحلي وتستلم القيادة لتستأنف صناعة ربيع عربي ثانٍ يَعُمّ العالم الاسلامي بالتدريج وعلى مراحل، ويبعث حرارة في التحرك مثيلة لحرارة احتراق البوسعيدي في تونس وحماوة ٢٥ يناير ولهيب صنعاء وتعز وضرام غَزة وجمرات سورية ودفء الرؤى الحالمة الطامحة لأسود الإصلاح في أرض الأزد ممن نالتهم الآلام الصحراوية، ويرفع الجميع شعار حُرية الشعب وسقوط الجبروت والاستبداد، وتكُن ثورة تتوجه إلى ضمير العالم أجمع تهزه وتطلب صرخته التأييدية، ولكن مع اتباع جميع وسائل حرب اللاعنف الموصوفة في كتب الخبراء، ومع أداء إعلامي متطور، ورموز تدق على صدرها وترشح نفسها لقيادة هذا الزحف التغييري تحت راية : سلميتنا أقوى من رصاصهم.

فوا جمال المنظر البديع، برمزية " مُرسي " و" بديع "، وتولد مرحلة جديدة في حياة الأمة الاسلامية، مرحلة انتصار الحرية التي تنمو الدعوة وتتطور في فيئها، وفي ظلال القرآن، لتمارس مرحلة تنموية، مقترنة بمرحلة حضارية معرفية يتعلم فيها الشعب القيم ويتفوق على الغرب، إذ يوازيه في ممارسة الحرية، ويزيد عليه القيم الإيمانية البريئة من العدوانية الاستعمارية...

واجمـالَ الحُرِّ بالاسلام يَصْـرَخْ

قيمٌ مُثلى، وبالفوزِ بَشيره

فَيُبِيـــرُ الشعبُ ظُلـمَ الفاسِدينا

يُنْصَرَنْ، وتكُ عَيناهُ قَريرَه

☐ الولاء المنساب ببراءة... يُعكّر عليه الواهمون

وبهذه المباحث : يتضح الطريق، وهو بإيجاز أن تتصدى الكتلة الدعوية المنظمة الواعية لحركات الحياة، لترشح نفسها أن تقود الكتلة الشعبية الموالية لها فتصنع منها تيار ضغط عارم سلمي الوسيلة ليطلب الحرية والحقوق السياسية ويعترض على استبداد الحاكم وتفرده وعلى تقصيره في رعاية التنمية، ويظل التيار يضغط حتى يعصف بالظلم. هذا هو الطريق، ولكن يجب أن تتقدمه مقدمات التهيؤ والاعداد والادلاء الفكري الذي يصف الحالة ومستند الحقوق، وأن يستعمل وسيلة الاعلام المتنوع، والتقدم التخطيطي الموزون، واتّباع مرحليات متدرجة بضوابط منهجية.

● إنما قُطب الرحى في هذه العملية بعد الحضور القيادي : التيار الواسع الضاغط، وهو أمر يجب أن نتفنّن في صياغته وصناعته وإنزاله إلى الميدان، وتجويد ربطه بالبؤرة القيادية التنظيمية التي يجب أن يعترف بتكامله معها والانطلاق من رؤاها الاستراتيجية والتعبوية، فإنها هي المرجع الذي يملك مقدرة الاستنباط والاجتهاد واختيار ماهو أوفق وأنسب من المواقف.

● هذا التكامل ضرورة، والتيار وحده لايمكن أن يكتشف الخطط، بل يلزمه الرجوع إلى النخبة القيادية الجماعية ذات الخبرة الطويلة العريقة التي تدرّجت في فهم القضية السياسية من خلال منظار شرعي ومعرفي، كما أن النخبة القيادية الدعوية وحدها لاتستطيع التغيير، بل هي بحاجة إلى التيار الموالي الواسع كأداة تنفيذ وضغط، وكانت القيادات الدعوية في القديم في غفلة عن حاجتها للتيار

التنفيذي، ثم ارتقى وعيها التجريبي فآمنت بأنه ضروري، وأيد ذلك إحياء فقه الدعوة من خلال كتابي " صناعة الحياة " الصادر سنة ١٩٨٩، فحصلت قناعة تامة في الأوساط الدعوية بضرورة التيار الذي يسارع الى تنفيذ رؤى الطبقة القيادية الجماعية الدعوية، وإنما شذ عن ذلك الدكتور جاسم سلطان، من قَطَر، فزعمَ في كُتُب ألفها أن العمل التغييري يحتاج إلى تيار ينفذه، ولا يحتاج إلى تنظيم، وذلك وهمٌ منه، ولاتؤيده الصنعة التحليلية.

●وسبب وهم جاسم : نَظَر أُحادي تنكره منهجية الفهم، فهو قد اكتشف المزايا الكبرى العظيمة التي يملكها التيار الشعبي وقدرته على التغيير وإجبار المستبد على الاستقالة والتنحي، فامتلكته حماسة ما عاد بعدها يرى في المعادلة السياسية غير التيار، وذهل عن أن التغيير عملية سياسية معقدة جداً تضبطها مئات العوامل والموازين التخطيطية التي لا يُحسن شباب التيار فهمها لاحتياجها إلى حوار عميق متواصل وإيضاحات من خبراء وأهل تخصّص، ودراسات واقعية وتاريخية، ثم استشراف مستقبل على ضوء معايير استراتيجية كثيرة، وليس عند شباب التيار جلسات سابقة ينمو خلالها هذا الحوار، ولا ارتباط بأهل علم تخطيطي، وفاقد الشيء لا يعطيه، كما يقرر المنطق، ولذلك يكون بحاجة إلى أن يستند إلى جماعة منظمة ويسترشد بالفقه السياسي الذي تملكه، وبفقه التخطيط والتحليل، فإن كان التغيير يُراد له ان يكون إسلامياً : فليس غير التنظيمات الاسلامية تُرشح لسد هذا الفراغ، وعلى ذلك فإن حاجة شباب ورجال التيار لمرجعية تنظيمية تقودهم هو قضية حتمية، وافتراض أن تكون هناك سلبيات في عملية التكامل هذه فإنها تُعالج بالحُسنى وبعقلانية وبنظر عادل لا يبخس الاسلاميين أشياءهم.

●أما نفي ذلك والالحاح على بقاء التيار في حالة عائمة بلا مرجعية : فإن ذلك يلتقي مع تدليسات أجهزة مخابرات الظلمة التي تعرف قيمة الكمية التجريبية الفقهية والمعرفية التي يحوزها دعاة الاسلام المنظمون، فيكون حرصهم على

حرمان التيارات السياسية منها، لترتجل مواقفها وتدخل في طريق الأخطاء والفشل.

●والنظر المنصف يمكنه أن يُقنع صاحبه بأن تيارات الشباب الثوري الضاغط في البلاد العربية ثم في الكثير من بلاد الاسلام الأخرى إنما صنعتها تراكمات الأداء الدعوي على مدى أكثر من نصف قرن، فالدعوة تنشر الفكر الإسلامي في شكل كتب ومحاضرات وأشرطة سمعية وبصرية، وتعظ في المساجد، وتقيم المدارس والجامعات، ولها مشاركة في الفضائيات، وتقترب من عموم الناس وتبذل الإغاثة لكل محتاج، ولا يقتصر عملها على تربية الأعضاء المسجلين معها، بل تقدم التربية لكل المسلمين، وهذا النشاط المتواصل آتى ثماره في صورة تيار مؤيد وإن لم يلتزم تنظيمياً، بل لانريد له أصلاً أن يلتزم، ولاحاجة لذلك، إلاّ للعناصر المتفوقة النخبوية، ثم يأتي الدكتور جاسم سلطان يريد أن يحرم هذا التيار من خيرات التنظيم وإيجابياته ولايتفطن إلى المتاهة التي ستحدث إذا حرمت التيار من حنان القيادة ووعيها وتجاربها وخططها، وهذا نوع من الظلم ونكران الفضل، والفضل لله تعالى، ولكن يحق للمسلم أن يذكر ماجرى على يديه من خير.

●وتنامت بدعة استقلالية التيارات وتضخمت، بل تورمت في شكل نصيحة لجُدد الدعاة في بعض البلاد أن يتركوا التنظيم ويكونوا تياراً فقط، وهذه خطيئة أكبر، وغش للشباب وتوهيم، فإن خروج الداعية من تنظيمه بلا سبب يوجبه الشرع هو جزء من " الردة عن الوعي " يشابه جزئياً " الردة عن الحرية " وفيه ملمح منها ومن وصف " المخلّفين "، وكأنها " أعرابية بعد الهجرة " كرهها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصواب بقاء الدعاة في تنظيماتهم أياً كانت مناهجها مختلفة في الاجتهادات والرؤى، فإذا وجد العضو بعض الأخطاء فيها فإنه يحاول علاجها بلطف ومع بقائه مستمراً في عضويته، وليس الخروج من الصف بعلاج، بل هو تخذيل ومنع المعروف، وأقاويل أفضلية التيار على التنظيم مشبوهة، وفي

قلوب قائليها نوع حقد شخصي يتلبس بلبوس الاجتهاد، بل التيار ومجموعة النخبة القيادية المخضرمة يتكاملان ويتصافحان وتنعشهما نسائم الربيع الزكية معاً.

●والتيارات الاسلامية في الربيع الثاني سوف لا تنفعها عواطف الإلهاب التي يتقنها الخطباء، بل العواطف تمهيدات ومرحلة أولية، ثم يجب أن يدخل التيار مرحلة متقدمة أخرى عنوانها " التحول إلى منظومات تأثيرية في عموم مرافق الحياة " للانتقال إلى سعة مليونية، كما شرحنا ذلك في رسائل حركة الحياة، ولكل عدد من المنظومات واجبات تخصصية تكاملية : إعلامية، وفكرية ،وسياسية، واجتماعية، وأدبية، وتاريخية، ومالية، ولن يتم ذلك إلاّ من خلال الفذلكات التنظيمية والخطط، وفيها فن يحتاج خبرة سابقة لا يملكها شباب التيار، بل الدعاة المنظمون هم خبراء التوزيع العريض للمنظومات.

●وقد كانت في جوانب الفقه والتجريب التي وصفت حالة (استعلاء الدعوة) ثم في الملاحظات الأخيرة الاستدراكية التي ردّت أوهام البعض : أدلة مقنعة لنا بوجوب ميل النشاط الدعوي العالمي اليوم إلى تكوين تيارات إسلامية عريضة مليونية العدد ذات ولاء لتنظيمات الدعوة، واستعمال وسائل الاعلام من فضائيات ومواقع فيسبك في تربية هذه التيارات، وظهور زعامات دعوية تقودها، وزعامات شبابية كخط ثانٍ يقوم بواجب تعميق الصلة، وتفهيم موازين الفقه الشرعي، وحقائق الميادين والساحات، وواقع الأمة، وكشف سوء الفساد الإداري والدول العميقة المستترة وطرائق المافيات في اسناد الاستبداد السياسي، ثم توجيه هذه التيارات نحو المطالبة بالحريات السياسية وحقوق الانسان والتنمية الراشدة، والقيام بحملات ضغط لاصلاح الاحوال، والمطالبة بحياة دستورية، وانتخابات برلمانية ورئاسية لاتزوير فيها، لنساوي الغرب ودول الشرق في التمتع بحياة طبيعية لا دماء فيها ولا سجون ولا نفوذ مخابرات، فهذا هو واجب الوقت، والعمل الأهم في أوصاف التطور الدعوي، فإن الرياح مواتية، والسياسة

الأميركية في إسناد الطواغيت تكاد أن تنحسر بعدما أصبحت مفضوحة، ومن المحتمل أن يحدث ابتداء الانكفاء الأميركي خلال السنوات القادمة بتأثير ضغوط الأزمات الاقتصادية الصعبة، ويتنبأ الخبراء أن ترتد آثار سياسة إرخاص النفط على أميركا التي افتعلت ذلك عدواناً علينا، فإذا حصل هذا الارتداد فإن أزمة مديونية أميركا ستتضاعف وتؤدي إلى إضعافها، فتقل قدرتها على إسناد الفاسقين المستجيرين بها، وإذا قامت البؤرة القيادية الإسلامية بعمليات توعية سياسية ناجحة عبر الفضائيات والانترنت : فإنّ التيارات الضاغطة ستتحرك، وتراعي تجربتها السابقة المريرة بمصر وغيرها، وتتقدم بحساب موزون في هذه المرة، وتصل إلى تحقيق إنجاز طال انتظاره.

●ويكمن الاحتياط في هذه الجولة في شعور سميناه (استعلاء الدعوة)، ومن ضروراته : استعلاء الداعية المسلم، المتظاهر المطالب بالحرية والحقوق الدستورية، وشعوره بالعزّة، وانه رقم صعب في الحياة لا تعزله رغبة لئيم، وانه جزء من حقيقة كونية جديدة اسمها " الربيع السياسي العالمي "، والطموح الوافر الذي يوفره الإيمان لنا سيضرب في الأرض عمراناً وإصلاحاً وتقويماً، وسوف يتسنى أن نذوق حلاوة طعم الحرية، وحلاوة الإيمان، فنهدم السجون، ونلزم المساجد، ونضع رؤوسنا على وسائدنا بدون قلق ولا خوف من رجل مخابرات يستفزنا من نومنا قبل الفجر ❑❑❑



الراشد

- رائد العمل الشبابي الدعوي.
- الذي قام بتجميع مذهب فقه الدعوة وإحيائه من مصادره الأصيلة.
- وهو يرى اليوم وجوب الاستدراك على التبسيط السائد، وفهم التجربة التي جاءت في إطار من الألم، والمسارعة إلى اتباع منهجية واضحة في الأداء الدعوي المتقدم المستوى، والتعمق في التخصص، ودراسة العالم المائج والحياة المتحركة، فإن فهمهما ممكن، ومن يستوعب قوانين حركتهما فإنه عما قريب سيسيطر عليهما.

ومن قرأ المسار، وصناعة الحياة، وحركة الحياة، ومنهجية التربية الدعوية، من كتب الراشد، فليبلغ مرحلة في الريادة فيها استثمار لرؤى التخطيط أكمل..



